

## تكريم الأطفال ذوي الاحتياجات الإضافية في اختتام فعاليات «يومهم العربي»



دمشق - لورا محمود

إنهم أطفال، إنما هم من ذوي الاحتياجات الإضافية. ربما لا يفهمونا أبداً، وربما يفهمونا بطريقة سطحية، لكنهم يشعرون بما يجري حولهم، وينطبع في دواخلهم كل سلوك تقوم به أمامهم. ثبت أن لديهم ذكاء في بعض الأمور التي ربما يستغربها الأصحاء. حقهم علينا أن نحترمهم ونحترم وضعهم، وأن نعاملهم معاملة كريمة. مساعدتهم لا الشفقة عليهم. فربما تكون معوقين، ولكننا بارواحنًا وعقولنا التي نتعمنا من النظر إليهم على أنهم أناس مثلنا، إنما مختلفون صحبياً.

والرسم، خصوصاً الرسم بالتلوين المائي الذي يعتبر من أصعب الفنون وأكثرها تعقيداً، لا سيما لأطفالنا من ذوي الاحتياجات الإضافية. وأشار أبو غنم إلى أن الوزارة ربما تأخذ هذه اللوحات لرعضها في معارض خارج سورية، «لنتثبت أن الطفل السوري قادر - على رغم الألم وأثار الحرب - أن ينهض ويقول إننا ننادي بالمحبة والسلام، وأنه قادر على أن يكون فعالاً ومبدعاً.

ولفت أبو غنم إلى أننا نحن أبناء الحياة، ونحن من أعطينا الثقافة والمحبة لكل العالم، ووزارة الثقافة لعبت دوراً مهماً خلال الأزمة السورية وما زالت تلعب الدور الأساس والرئيس في المجتمع السوري. وأضاف أن وزارة الثقافة تدعم أطفال سورية كلهم، لا سيما ذوي الاحتياجات الإضافية. وسيكون الدعم أكبر في المستقبل القريب، «فنحن في الوزارة نحاول العمل على بناء الإنسان من خلال القضاء على ثقافة الدم والتكفير والترهيب، لأننا شعب منقّف وواع ولا تليق به إلا الحياة الكريمة والحيادية، فالإنسان السوري حمل حضارته إلى كل العالم، لذلك لا بد لنا أن نعيد بناء الإنسان لنعيد بناء الوطن، وثقافتنا كانت وما زالت ثقافة المحبة والسلام».

### ياسين

بدورها، قالت مديرة ثقافة الطفل ملك ياسين لهـ«البناء»: واجب علينا أن نعتني بكل الأطفال سواء الأسوياء أو المعاقين، فنحن في وزارة الثقافة ومديرية ثقافة الطفل بشكل خاص، نعتني بالأطفال ذوي الاحتياجات الإضافية، ولدينا أنشطة تهتم بالطفل على مدار السنة. وهذه الفعالية هي تكريم من وزارة الثقافة للأطفال ذوي الاحتياجات الإضافية على إبداعاتهم التي قاموا بها، وكّرّموا من أجلها، ونحن نحرص على أن يكونوا موجودين في كل الفعاليات كي يدمجوا بالأطفال الأسوياء. فأمهيتهم لا تقل عن أهمية أي طفل عادي. ونوّعت ياسين أنه من المهم أن تكّرّم هذه الفئة على كل



إبداع تقوم به. فهذا يعطيهم ثقة عالية وتفاؤلاً بالمستقبل. وهذا هو هدفنا أن نرسم بسمة على وجوههم لتشعرهم بالأمل. وأضافت: لقد كانت هذه الفعالية الأخيرة لمديرية ثقافة الطفل لهذه السنة، فقد نظّمنا عشر فعاليات موزعة على مدار السنة، إضافة إلى برنامج مهارات الحياة والدعم النفسي للأطفال اليتامى، إذ نعمل في تسع محافظات في مراكز الإيواء، وايضاً نهتم بالأطفال أبناء الشهداء ضمن فرق وطنية في كل محافظة.

وأكدت ياسين: اليوم ختامها مسك بتكريم الأطفال من ذوي الاحتياجات الإضافية. فنحن أعطينا أملاً جديداً لهذه الفئة من الأطفال ليشاهد الجميع إبداعاتهم، ولكي يتبدع عن نظرة الشفقة نحو هؤلاء الأطفال. فهم لا يختلفون عن غيرهم من الأطفال الأسوياء.

### قاسم

أما الاختصاصية النفسية في معهد الإعاقة وعلاج الاضطرابات النفسية والسلوكية سلام قاسم، فقالت: إنها السنة الأولى التي تقوم خلالها بفاعلية يكون فيها تكريم، فنحن ننظم فعاليات ونشاطات للأطفال في المعهد بمشاركة جمعيات خيرية، وايضاً بالمشاركة مع وزارة الثقافة. لكنها المرة الأولى التي يكون فيها تكريم للأطفال من ذوي الاحتياجات الإضافية. ولفتت قاسم إلى أنه بشكل عام، إذا أردنا أن نقيس تقدّم أي بلد في العالم وتطوره، يجب أن نقيسه بمدى اهتمامه بهذه الشريحة من المجتمع. وكلما كان الاهتمام بهم كبيراً، كان تقدّم البلد وتطوره أكبر. وأكدت قاسم: نحن نهتم ب هؤلاء الأطفال المعزّمين بالرسم وبسرد القصة، لأن لديهم مواهب والموهبة تصقل الشخصية، فنحن ننثبته على الطفل وما لديه وكيف نستطيع أن نخرج هذا الإبداع منه. وأشارت قاسم إلى أن أطفال الشلل الدماغي مثلاً ينجون بالموسيقى والرقص، ولكن الإعاقة تمنعهم من ذلك. فنستغل ما هم قادرون على استخدامه كإيداء مثلاً

## الشعر جنس «زمكاني» يميل إلى الزمان أكثر ليشكل هويته الإبداعية ككتاب عراقيون؛ كل منا يكتب عن مكانه الضائع!



لؤي حمزة عباس



عمار أحمد



وديع شامخ



باسم فرات



زيد الشهيد

ويضيف شامخ: لقد عانى العراق وما زال من لصوصية واضحة وطنية وإقليمية ودولية في التغييرات الجغرافية والتاريخية والروحية للعراق التاريخي، أو الحديث كدولة موحدة شهد عام 1921 انبثاق ولادتها كمملكة عراقية موحدة.

هذا العامل النفسي والمسؤولية التاريخية للكتاب العراقيين تحديداً جعلهم يعيدون الأساطير سريداً مستقبلاً لتقبل على اللواعي وتتجمع بما تشعبت العراقية الجريحة بمتون سردية شكلت محفزاً قائماً وشهادت خالدة على غياب الأثر واقعياً...

### أيقونة السرد العراقي

يؤكد الروائي زيد الشهيد على اهتمام السرد العراقي حقاً بالمكان؛ وصار هذا الأساس يتقدم على محمد خضير جاء ليدخل على الساحة السردية الخاصة بسم الكتابة السردية العراقية ويميزها عن السرد العربي.. والأسلوب كما هو معروف يتشكل من تراكم معرفي تكينته القراءات والمطالعات المتواليّة والمستمرة، تلك التي تخزن مادتها في اللاوعي وتتجمع في بوتقة ذهن الكاتب فتتسكب حين الكتابة طابعاً يسم هوية الكاتب.. ومن يراجع بلوغرافيا السرد العراقي فيجب أن أول من ركّز على المكان هو عبد الملك نوري، ثم جاء محمد خضير متأثراً بعبد الملك نوري كمرجع سردي قصصي عراقي قريب من روح القارئ العراقي الشغوف بالأدب والسرد على قلته، باعتبار الهمية على الواقع العربي للشعر وليس غير الشعر هو المتسيد. وبين الشهيد أن محمد خضير جاء ليدخل على الساحة السردية العراقية بمجموعة «المملكة السوداء» وهي مجموعة نصوص المكان بامتياز؛ يفيض فيها السحر والجمال فيتميز القارئ في شياك تلك النصوص وفحواها ارتماحاً حد الإسباع؛ ما يجعل الذائقة مستقبلاً لتقبل على البوح متأنة بما تشعبت به... «أذكر أنني قرأت تلك المجموعة لما يزيد عن خمسين مرة؛ وتلك جعلت من كتاباتي مكانية (أنا أحد كتاب المكان) بامتياز.. ولأننا نتحدث عن المكان فإن صفة الوصف ستكون ملازمة له. والوصف يصور عالماً ساحراً سواء كان هذا العالم إيجابياً أو سلبياً. والافتان المكان والوصف يصنعان صوراً تحفر وجودها على صوان ذاكرة القارئ...» وليس غير ذلك كتاب «جماليات المكان» لغازنوتون ياسين الذي دخل عالم القراءة والتأليف على الكتاب يوم ترجمه غالب هلسا ونشرته دار الشؤون الثقافية العراقية في سبعينات القرن الماضي، فاقبل عليه الأدباء بشغف؛ ويظن الشهيد أن هذا الكتاب خط للناقد ياسين النصير مساراً وجعل حرياتة النقدية تسير على هدي تأثير المكان وجمالياته في السرد العراقي الذي صار النصير يقيس جمال النص المقروء من عدمه.. ولا ننسى أن توفيق المكان في السرد يصنع صورة؛ والصورة كما يرى أقوى عوامل تثبيت حوى النص في ذاكرة القارئ. فمن يقرأ نصاً مكانياً ليس من السير محوّد بسهولة من الذاكرة على عكس النص الذهني أو النفسي أو نص التداوي والحوار مع الذات.

\* كاتب عراقي

بدأ فرات يتعلم اللغة الجديدة ومعها اكتشف هذا الخليط غير المتجانس التي تتشكل منه نيوزلندا؛ حيث كان يقيم، والذي يسير بدقة كبيرة بفضل قانون صارد لا يرحم، لكن الأيام التي علمته لغة ثانية، ومعرفة غزيرة بتاريخ بلاده وجغرافيتها وثقافتها أمم كثيرة وجمالية وثراء تنوعها، علمته أن لا تجانس بين البشر حتى لو كانوا على دين واحد ومذهب واحد ولغة واحدة إلا بقانون صارم ومع تربية تعليمية تتطور باستمرار أيضاً.

«وجدتني أتصالح مع الإمكنة تلقائياً، ولم بعد الحنين والبكاء على الأطلال ولا الكربلايات تصبغ قصائدي، بل تعاشر ثقافي لتقافات متعددة على مكان أحبيته، ميروشيميا أو فينثان عاصمة لاوس، أو نيوزلندا ومناطق فيها، فأنا الغريب الذي أصبحت واحداً منهم وأنا ابن ثقافة عربية، عراقيتي لا تتعارض مع شعوري بالانتماء إلى جمالية الأمكنة الأخرى والثقافات المتعددة التي تنفستها في رحلاتي وتنقلي بلدانياً وثقافياً».

### أكثر من صورة

ومن وجهة نظر الشاعر والروائي وديع شامخ، فإن المكان بوصفه أثرًا جغرافياً يحتل أهمية واسعة في الكتابات السردية والشعرية العربية معاً، على رغم أن الشعر جنس «زمكاني» يميل إلى الزمان أكثر ليشكل هويته الإبداعية. ولأن للمكان جماليته الخاصة فقد صدرت نصوص «كتب» أعلنت للمكان البطولة المطلقة في المشهد السردى العربي، ويبدو أن الاهتمام للمكان يترسخ بمشاريع سردية خاصة لأسباب متعددة ولعل أهمها، محاولة السارد لتقصي المكان بوصفه هوية جامعة تشجع المجتمع ما يعاد استرجاعها وحوارها بلبوس تاريخي، كما حصل مع كتاب المكان المهم «بصريانا» لمحمد خضير، أو في بعض نصوص الراحل جليل القيسي، أو في نصوص الروائيين الراحلين فؤاد التكرلي وغائب طعمة فرمان، وكذلك عبد المجيد الربيعي، جمعة الامي، جابر خليفة جابر، لؤي حمزة عباس، حامد فاضل ونامر سعيد، وآخرين.

ويريد شامخ في استعراضه هذه الأسماء البحث عن سبب اهتمام الكتاب العراقيين بالمكان تحديداً أكثر من غيرهم؟ «أرى أن العراق لم يكن في ذهن المبدعين هو مكان فقط، بل هو تاريخ وجغرافية ومصير وهوية جامعة، ومرتع الذكريات، وخرزانة الذاكرة الجمعية لشعوب توارثت هذا الأثر كقيمة حضارية ومدنية، وهذه الصورة المخملية الصورية في أعماق اللاوعي العراقي عانت من التشتيت والتدمير المتسلسل، وصولاً إلى قتل القيمة الرمزية والواقعية للعراق ومدته مكاناً وذاكرة، فقصص الجغرافية السياسية أمنت وأختت العراق قصاً قسرياً ومن كل الجهات، وكذلك ساهمت الحقبة الدكتاتورية في تضييع الهوية المكانية والطوبوغرافية للكثير من المدن والطبيعة في العراق وتذويبها، لذا صار من المحتم على المبدع السارد أن يستعيد هوية الأثر «المكان» بصيغته الأصلية.

منه تعرف تبدل الزمن، ومن هرم الأمكنة وانتهائها نعرف قوته الطاغية... «أرى أن المكان والشخصية هما ابتداء التاريخ لا الزمن مجرداً.. فهناك ملايين السنين لم تسجّل، نمرٌ عليها مروراً عابراً.. الاعتناء بالمكان اعتناء بتجدد البدء ببراءته الأولى تلك».

### منفيان مكانيان

يذكر الشاعر باسم فرات مفارقة عجيبة أنتجتها الظروف التي مرّ بها العراق وطناً وثقافة منذ مطلع ستينات القرن العشرين وحتى الآن، وهي أن العراق كمكان. أي كإقليم جغرافي اتفق المؤرّخون والبلدانيون على حدوده من تخوم الموصل شمالاً وحتى بلاد عبادان على ساحل البحر جنوباً، ومع ذلك تصدّعت وحدته وراح الصوت المتطرف، الذي يزعم كذباً أن العراق وطن اصطنعه الإنكليز هو الذي يعلو.

على صعيد الكتابة، هناك معاناة مزدوجة يعيشها الكاتب، فهو منفي على الدوام، يتمثل قول سلفه الشاعر العراقي القديم:

لقد نفّتنا الأكمة

مؤكداً أن هناك منفي روحياً يسكن كل واحد من الكتاب، ومنفي مكانياً ينقل على كاهله، غربتان تنوء بهما روحه، لأمل إلا في المضي قدماً، بنهشهم غربتيه، وخلق مكان جديد، قد يتشابه مع المكان الأول كمكان، المكان الأول الذي ترسّخ في ذاكرته من أسلافه ومن كبار السن، فيستوهي المكان الذي لم يعد مكاناً ملمحاً كان. كل شيء تغير كان الماضي أجمل، هذه الجمل لطالما كررها الكاتب وشعوره بعزلة بعضها يخضع إلى نظام حياتي صارم.

الواحه عن الماضي الذي كانت الأكمة راضية على الإنسان. ويشير فرات إلى أن ثمة صراعاً طردياً بين التهميش والمكان، وكلما ازداد تهميش المكان وإنسانه نجد حضوره أقوى في أدب أبنائه، وفي خروج عدد كبير من الأدباء يسيطر الحنين إلى الأماكن الأولى التي أصبحت بعيدة زمانياً وجغرافياً وبيئياً وثقافياً، فكان المكان الأول حاضراً بقوة لأنه تموض عن خسارة الكاتب وشعوره بعزلة بعضها يخضع إلى نظام حياتي صارم. «شخصياً، عانيت من حضور المكان سلبياً في بداية غربتي، فكتبت عدداً من القصائد، تظفر حينها وبهيم على المكان الأول، مع تهميش تام للمكان الجديد، وإن ذكر فالندم والشكوى منه تتراقص في جسد القصيدة، فكتبت منفي مثل معظم الذين كتبوا ويكتبون، لكن أفتي للمكان الجديد، الذي بدأ بشكل حدنا مهما في حياتي، فأنا قبل أي شيء قارئ، نعم قارئ اقرقر الكتاتية، ربما جراحة لا أستحقها، لكنني أبقى قارئاً، وهذا ساعدني في التوغل كثيراً وعميقاً ليس في المكان الجديد ثقافة بمعناها الشامل، بل كان لوجود عشرات الجاليات التي تنتمي لعشرات البلدان وعشرات الأعراف والقوميات والأديان والمذاهب، فرصة ثمينة بالنسبة لقارئ منفي، أن يستفيد من هؤلاء الناس، يتعرف على خصوصياتهم اللغوية والدينية والمذهبية، لا بل المناطقية أيضاً».